

الصورة الإنسانية للرسول «ص» في القرآن



«مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالْمَذْنَبُ مَعَهُ أَشَدَّ إِعْلَمَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءٌ بَيْنَ ذَهْنِهِمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجْدًا يَبْتَغُونَ فَهُنَّ مُنَاهَضُونَ إِنَّمَا سَيِّمَاتُهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مُنَاهَضُونَ أَثَرَ السُّجُودُ، لِقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ مُنَاهَضُونَ أَنفُسُكُمْ عَزَيزٌ عَلَيْهِمْ مَا عَنْتُهُمْ حَرَبُهُمْ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَوْفُوفُ رَحِيمُ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ».

هكذا كانت صورته في القرآن؛ كانت الصورة التي تعبّر عن عمق إنسانيّته في كلّ إنسان دعاه إلى الله وعاش معه، وفي كلّ إنسان أطعاه وحاوره. كان الإنسان الذي تتفاوض إنسانيّته من عقله، فيتحرّك عقله بكلّ الفكر الإنساني المنفتح على الحقّ كله، وكانت إنسانيّته تتفاوض من قلبه، فكان قلبه القلب الذي من الرقيق الطيب، الذي ينفتح على أعدائه ليحبّ لهم الهدایة، كما ينفتح على أوليائه ليحبّ لهم الاستزادة من الإيمان والتقوى.

كانت إنسانيّته (صلى الله عليه وآله وسلم) تتفاوض في كلّ حركته، فكانت تتفاوض في يديه بالعطاء،

وفي رجليه عندما يسبر بهما إلى أن يُغثث ملهوفاً، وإلى أن يُنقد بائساً، وإلى أن يزور مريضاً، وإلى أن يتحرّك في كلّ ما يرتفع بالإنسان في أعلى الدرجات.

ونحن عندما نتذكّر رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) في ذكرى مولده، فإنّنا مهما تحدّثـنا عنه، مما تحدّث الناس عنه في صفاتـه في نفسه، فإنـنا لن نستطيع أن نبلغ ما تحدّثـ به الله سبحانه عنه.

لذلك، نحن هنا من أجل أن نعيش مع رسول الله أخلاقـه وإسلامـه وإيمـانـه وجهـادـه وشـريـعتـه، لأنـ رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) ليس مجرـد إنسـان عـاشـ في التـارـيخـ، ولـكـنـه أـيـضاً نـبـيـ بـقـيـ في عـقولـنا عـقـلاـ، وـفـي قـلـوبـنا قـلـباـ، وـفـي حـرـكـتنا دـعـوـةـ وجـهـادـ وـعـطـاءـ، لـذـكـ، نـحـنـ نـولـدـ دـائـماـ بـرسـولـ اللهـ عـنـدـمـاـ يـعـيـشـ رسـولـ اللهـ فـيـنـاـ.

وهـكـذاـ، يـنـبـغـيـ أـنـ يـكـونـ فـيـنـاـ شـيـءـ مـنـ رسـولـ اللهـ وـمـنـ إـيمـانـهـ وـرـوحـانـيـتـهـ وـخـلـقـهـ وـكـلـ سـيرـتهـ، وـقـدـ قـالـ لنا اللهـ سـبـاحـانـهـ وـتـعـالـيـ، إـنـ عـلـيـكـمـ أـنـ تـضـعـواـ رسـولـ اللهـ نـصـبـ أـعـيـنـكـمـ فـيـ كـلـمـاتـهـ وـسـيـرـتـهـ وـفـيـ كـلـ مـاـ عـاـشـهـ وـفـكـرـرـ فـيـهـ، عـنـدـمـاـ تـعـيـشـونـ مشـاكـلـ الـحـيـاةـ، وـعـنـدـمـاـ تـفـقـدـونـ الطـرـيقـ الـمـسـتـقـيمـ، وـعـنـدـمـاـ تـكـثـرـ عـلـيـكـمـ الصـفـغـوطـ، وـعـنـدـمـاـ يـتـحدـ اـكـمـ الـكـافـرـونـ وـالـمـسـكـبـرـونـ.

وـرـبـماـ يـضـعـفـ بـعـضـكـمـ، وـبـسـقـطـ بـعـضـكـمـ، وـيـخـافـ بـعـضـكـمـ أـنـ يـتـحدـ عنـهـ النـاسـ بـسـوـءـ، أـوـ يـتـهـمـهـ النـاسـ بـغـيرـ الحـقـيقـةـ. اـقـتـدواـ بـرسـولـ اللهـ، فـلـقـدـ قـالـواـ عـنـهـ إـنـهـ سـاحـرـ وـكـاذـبـ وـشـاعـرـ، «وـفـاتـلـوـاـ أـسـاطـيـرـ أـلـأـوـلـيـنـ اـكـدـتـتـبـهـاـ فـهـيـ تـُمـلـيـ عـلـيـهـ بـكـرـةـ وـأـصـيلـاـ»، وـلـكـنـ رسولـ اللهـ (صلى اللهـ عليهـ وـآلـهـ وـسلمـ)ـ – وـهـوـ يـسـتـمعـ إـلـىـ ذـلـكـ – رـفـعـ عـيـنـيـهـ إـلـىـ السـمـاءـ، وـلـمـ يـسـمـعـ كـلـ هـذـهـ الـكـلـمـاتـ، وـلـمـ يـوـاجـهـ كـلـ هـؤـلـاءـ، بـلـ قـالـ لـرـبـهـ فـيـ اـبـتـهـالـ خـاطـعـ: «إـنـ لـمـ يـكـنـ بـكـ عـلـيـ غـضـ فلاـ أـبـالـيـ».

الرسول القدوة

وـتـرـكـهاـ رسـولـ اللهـ لـكـلـ دـاعـيـةـ وـمـصـلـحـ وـمـجـاهـدـ منـ بـعـدـهـ، عـنـدـمـاـ يـنـطـلـقـ الـلـذـينـ يـسـدـونـ وـيـشـتـمـونـ وـيـتـهـمـونـ، لـيـقـولـ لـرـبـهـ – وـهـوـ فـيـ زـرـحـةـ كـلـ ذـلـكـ – «إـنـ لـمـ يـكـنـ بـكـ عـلـيـ غـضـ فلاـ أـبـالـيـ»، وـهـذـاـ هوـ التـوـحـيدـ الـذـيـ يـدـخـلـ فـيـ الـعـقـلـ، لـيـجـعـلـ الـعـقـلـ ثـابـتاـ فـيـ اللهـ، وـيـدـخـلـ فـيـ الـقـلـبـ لـيـجـعـلـهـ نـاـبـضاـ بـالـهـ وـيـدـخـلـ فـيـ كـلـ حـرـكـةـ الـحـيـاةـ لـيـجـعـلـهـ مـتـحـرـكـةـ بـاسـمـ اللهـ. عـلـيـنـاـ أـنـ نـوـاجـهـ الـحـيـاةـ كـلـ هـاـ بـاسـمـ اللهـ، لأنـ اللهـ وـحـدهـ هوـ الـلـذـيـ يـرـعـيـ مـسـيرـتـنـاـ، وـقـدـ قـالـهـاـ رسـولـ اللهـ (صلى اللهـ عليهـ وـآلـهـ وـسلمـ)ـ، لأنـ اللهـ وـحـدهـ هوـ الـلـذـيـ يـقـرـبـونـ مـنـهـ خطـوـةـ خطـوـةـ، وـلـيـسـتـ هـنـاكـ إـلـاـ بـصـعـ خطـوـاتـ بـيـنـهـ وـبـيـنـهـمـ، وـكـانـ صـاحـبـهـ فـيـ لـيـلـةـ الـهـجـرةـ، وـالـقـومـ يـقـرـبـونـ مـنـهـ خطـوـةـ خطـوـةـ، وـلـيـسـتـ هـنـاكـ إـلـاـ بـصـعـ خطـوـاتـ بـيـنـهـ وـبـيـنـهـمـ، وـكـانـ صـاحـبـهـ يـهـتـزـ

ويرتعد ويحاف ويعيش الحزن، وكان رسول الله الذي عاش السكينة الروحية في قلبه والطّمأنينة الإيمانية في عقله، كان يشعر بالفرح.